# القصة القرآنية وسؤال إسلامية الأدب

# Quranic story and the question of Islamic literature

د/ يوسف يوسفي

جامعة تيارت

**الملخص :**

إن «القصة» في السياق الثقافي العربي الإسلامي ذات هوية دينية من حيث الأساس المفهومي، والمقصد الإجرائي الآداتي، ومن ثمة فهي مرجعية فكرية مطلقة لممارسة فعل المعرفة، وترشيد وتوجيه السلوك الإنساني. وإن حضورها داخل الأطر والحقول المعرفية البشرية؛ حضور إجرائي طارئ لتنشيط فعاليات العقل من شرح وتفسير وتوضيح وتبرير واستنتاج... وبالتالي فإن المقابلة بين النص القرآني . في سياق علاقته بالقصة . والتجربة المعرفية البشرية، هي مقابلة بين الأصل والفروع الذي تنبثق عنه، وتبعا لذلك فنسبة القصة للأصل/ القرآن؛ نسبة وجود: فهي قرآنية بالماهية.أما علاقتها بالفروع ، فهي علاقة توظيفية دونما المساس بدلالاتها وأبعادها الدينية ، ومن ثم تجمع القصة بين النظر والممارسة ، حيث يتحدد المقصد عبرة واعتبارا .ولتحقيق تلك المقاصد التربوية وظفت الخوف والطمع كأداتين إجرائيتين .بأسلوب ساحر وتصوير فني رائع ، وتحاول هذه الورقة التأصيل للأدب الإسلامي تحاول التعريف بالبنية الشكلية للقصة القرآنية ، باحثة عن العلمية والفنية والمقصدية لتلك القصة ، لتلقي بضلالها على القصة المقابل .

Abstract:

The “story” in the Arab-Islamic cultural context has a religious identity in terms of conceptual basis and instrumental procedural intent, hence it is an absolute intellectual reference for the practice of knowledge, rationalization and guidance of human behavior. Their presence within human knowledge frameworks and fields is an emergency procedural presence to stimulate the activities of the mind from explaining, interpreting, clarifying, justifying and inferring ... Thus, the interview between the Qur'anic text, in the context of its relationship to the story, and the human cognitive experience, is an interview between the origin and the branches that emerge from it, and accordingly The ratio of the story to the origin / Koran; the proportion of the existence: It is a Quranic in content .whereas its relationship with branches is functional without attempting to there legions dimensions .Then the story mixes between vision and where the purpose practice is concretized ,and to realize these pedagogical goals ,fear and avidity were used as procedure instruments in a magic way and a wonderful artistic capture. This paper tries to root the Islamic literature trying to define the formal structure of the Quranic story, looking for the scientific, technical and intentional of that story, to mislead the corresponding story.

**الكلمات المفتاحية : القصة . الأدب المفهوم .الدلالة . اسلامية الأدب ، القصدية . البنية**

Keywords: Story. Literature . Concept. Islamic literature , intentional. Structure

**مقدمة:**

إن «**القصة**» في السياق الثقافي العربي الإسلامي ذات هوية دينية من حيث الأساس المفهومي، والمقصد الإجرائي الآداتي. ويتجلى ذلك بدقة ووضوح في احتواء النص القرآني لها، ومن ثمة فهي قصة قرآنية على وجه الأصالة المفهومية، وعلى أساس السبق الوجودي للنص الديني كمرجعية فكرية مطلقة لممارسة فعل المعرفة، وترشيد وتوجيه السلوك الإنساني. لأن توظيف "القصة" في السياقات المعرفية (البشرية) التي تقتضيها . كالمعرفة التاريخية مثلا . لا يمنحها أصالة المنشأ والإنبات، وشرعية التأسيس المفهومي؛ بل إن حضورها داخل هذه الأطر والحقول المعرفية البشرية؛ حضور إجرائي طارئ لتنشيط فعاليات العقل من شرح وتفسير وتوضيح

وتبرير واستنتاج... وبالتالي فإن المقابلة بين النص القرآني . في سياق علاقته بالقصة . والتجربة المعرفية البشرية، هي مقابلة بين الأصل والفروع الذي تنبثق عنه، وتبعا لذلك فنسبة القصة للأصل/ القرآن؛ نسبة وجود: فهي قرآنية بالماهية. ونسبتها للفروع هي نسبة وظيفية. ولهذا فالعلوم والفنون التي توظف القصة في موضوعاتها لا تسحب منها أصالتها الدينية وخصوصيتها القرآنية. وهي، أي القصة، بممارسة وظيفتها داخل الأنظمة المعرفية التي تحتاجها، كفلسفة التاريخ وعلم التاريخ والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع... تعبّر عن مضامينها ودلالاتها وأبعادها التي هي في العمق والأساس دلالات وأبعاد دينية. وهو ما يفيد أن القصة لا يمكن أن تكون إلا قرآنية المنبت والمنشأ. وبهذا السياج المطلق والمقدس الذي يحيط بها يرتفع سقف أهميتها وتبرز قيمتها التي تظهر في المستوى المعرفي النظري، لتمتد إلى المستوى السلوكي العملي. وبهذا تجمع وظيفتها بين النظر والممارسة، وبالأسلوب الديني القرآني؛ القول والفعل. وأهمية القصة تتجلى من خلال التعاطي معها من حيث المضمون باعتبارها جملة وقائع وحيثيات ومشاهد مرتبة في سياق محدد. هذا المضمون يفصح عن المقصد الإجرائي من إيرادها وهو أخذ "الدرس" و"العبرة". وبين العبرة والاعتبار مسافة تربط النظر/ القول(العبرة)، بالممارسة/ الفعل(الاعتبار). وبهذا المقصد تأخذ وظيفة القصة مدلولا وبعدا تربويا؛ إذ في العبرة يتجلى الموقف الأخلاقي لترشيد السلوك، والدرس التاريخي للإفادة منها بغرض التخطيط لحسن المصير والنهاية المحمودة. والخصوصية القرآنية للقصة هي السر في فعاليتها ونجاح وظيفتها وبلوغ هدفها في دنيا الناس، حيث إنها تتمتع بجاذبية سيكولوجية، فتثير الوجدان وتهيء النفس للتلقي والتقبل والتمثل(الاعتبار). والنفس في اندفاعها نحو القصة وتفاعلها معها، إنما تفعل ذلك بدافع الخوف من سوء العاقبة، أو الطمع في حسن الختام. وعلى هذه القاعدة النفسية التي تتشكل من الخوف والطمع، تتحرك القصة باتجاه مقصدها. والخوف والطمع أداتان إجرائيتان توظفهما لتحقيق المقاصد التربوية التي ترمي إليها.

وعليه ما سر هذا الأسلوب السحري للقصة القرآنية، إلى الحد الذي تستبد فيه بوجدان الإنسان وتستولي على كيانه وتحاصر وعيه؟ وإذا كان التصوير الفني في قالبه اللغوي هو ما يميّز هذا الأسلوب، وأن ما هو لغوي فني يتصل بالحقل الأدبي، فهل يمكن القول بإسلامية الأدب انطلاقا من دراسته للقصة القرآنية؟

**البنية الشكلية للقصة القرآنية كأساس للدراسة الأدبية لها:**

إن معرفة سر الأسلوب، وعلة التواصل تحيلنا بالضرورة إلى الظاهرة اللغوية: فالأسلوب لا يكون إلا لغويا، والتواصل لا يكون إلا عن طريق اللغة. وهو ما يفرض علينا من المنظور المنهجي . للإجابة عن هذا التساؤل . دراسة القصة القرآنية من الزاوية اللغوية: أي الانتقال في التعامل معها من مستوى المضمون . كما أشرنا إلى ذلك سابقا . إلى مستوى الشكل. وإذا كان محتوى القصة هو الذي يحرك الوجدان ويثير النفس للتفاعل والتواصل معها، من منطلق "أن كتاب الله الخالد أعتمد جمال الكلمة، وتأثير

المضمون ليهز الوجدان، ويوقظ العقول، ويحرك الوجدان "[1]، فإن "الشكل" هو الأساس وهو الأصل في عملية التواصل والفهم (استنباط العبرة) والاستجابة(الاعتبار). وإذا كان المحتوى هو الذي يعني الحيثيات والوقائع والمشاهد... وهو الذي يمنح القصة صفتها القرآنية، ودلالتها الدينية التربوية والأخلاقية، فإن الشكل هو الذي يعكس البناء الخارجي لها في هندسته الصوتية، وتصميمه اللفظي، وتصويره البياني، ومسحته الفنية والجمالية... والشكل بهذا التوصيف وبهذه الخصائص البنائية يلون القصة القرآنية بلون أدبي. وبهذا تبدو القصة قرآنية من حيث المضمون والمعنى، وأدبية من حيث الشكل والمبنى. ومن ثمة فأسلوبها السحري الجذاب يكمن في بنيتها الشكلية، والصورة الفنية والجمالية تكشف عنها هذه البنية الخارجية للقصة. فسحرية الأسلوب، إذن، في جماليته.

وعلى هذا الأساس فإن التعاطي مع القصة من الناحية الشكلية/ اللغوية يكون من الزاوية الأدبية حصريا. "ومن هنا تتبدي مهمة وأهمية ووظيفة الأدب في الحياة. فله وظيفة عقائدية تعبر عن رؤية الإسلام للكون والحياة والعالم والإنسان"[2]. والأدب في دراسته للقصة القرآنية من هذه الزاوية الشكلية؛ يتعامل معها كأثر معرفي مكتوب؛ أي كنص، لا كخطاب مسموع، لأن النص من حيث مفهومه هو " أُثر معرفي تم تثبيته وتدوينه عن طريق الكتابة". والقصة في انتقالها من فضاء النص إلى حقل الخطاب تفقد خصوصيتها كقصة؛ فتتحول إلى حكاية: فالقصة تقرأ ولذلك فهي أثر مكتوب ومقروء، بينما الحكاية تروى ولذلك فهي قول مسموع.

إن التجربة الأدبية مع القصة القرآنية تجربة أصيلة من حيث تعاملها مع منتوج ثقافي ذو أصل ديني خالص. وهي تجربة تفيد في تحقيق نتيجتين أساسيتين: تتعلق الأولى بأصالة الأدب الإسلامي. وترتبط الثانية بتجديده.

أما عن المسألة الأولى: فإن صفة "العربي" التي يتصف بها الأدب، والتي ترتد في أصلها إلى لغة الضاد، تضفي عليه طابعا قوميا. وهي كظاهرة ثقافية تاريخية تجاوزت تاريخيتها لترتبط بالمطلق حينما قررت العناية الإلهية أن تختارها لتكون أداة للتعبير عن التنزيل. فقد نزل القرآن الكريم بها. وهي بذلك لغة القرآن. فارتقت منزلتها إلى درجة القداسة. ومن هذا المنطلق فإن تعامل الأدب مع القصة القرآنية مرتبط بالظاهرة اللغوية في الأساس التي تعكس جانبا من سر إعجاز القرآن من خلال إحكام نظمه، حيث أن ألفاظه تتماهى في معانيه، ومعانيه تتماهى في ألفاظه، وهو ما يعني أن "الله قد خلق في العرب فطرة اللغة ثم أخرج من هذه اللغة ما أعجز تلك الفطرة، لأن ذلك التوالي بين الألفاظ ومعانيها، وبين المعاني وألفاظها، مما لا يعرف مثله إلا في الصفات الروحية العالية إذ تتجاذب روحان قد ألفت بينهما حكمة الله فركبتهما تركيبا مزجيا بحيث لا يجري حكم في هذا التجاذب على إحداهما حتى يشملهما جميعا". هذا الطابع الروحاني للّغة فضلا عن عربيتها هو علة قدسيتها، وهو ما يثير على الفور سؤال العلاقة بين الأدب والقرآن من خلال موضوع القصة. وهي العلاقة التي تؤسس للتفكير

[1]- . عماد الدين خليل: "وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي"، مجلة الأمة، قطر، ربيع الآخر 1403هـ، ص: 8.

[2]. عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص: 9.

في إسلامية الأدب إضافة إلى عروبته، بكيفية تمكنه من الإحالة إلى القصة القرآنية لتشكيل تصورات عن الوجود الكوني والإنساني وارتباط الحياة بهما. فإذا كانت "الإسلامية في الأدب تعني كل أدب ينطلق من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، أو . على الأقل . ينسجم مع هذا التصور ولا يعارضه "[3]، فإنه يجد في القصة القرآنية ما يحيل إلى ذلك ويجسّده.

هذا ما يسوغ إمكانية التأسيس لأدب إسلامي انطلاقا من مرجعية قرآنية. وما يؤكد كونه أدبا إسلاميا، هو أن المشتغل به أديب مسلم، والبيئة الثقافية التي نشأ فيها إسلامية وموضوع بحثه قضية إسلامية. فالقصة القرآنية بقدر ما هي مادة للدراسة الأدبية، فهي كذلك استراتيجية معرفية وأداة منهجية لتحقيق أصالة الأدب العربي. هذا عن المسألة الأولى.

أما عن المسألة الثانية: والمرتبطة بتجديد الأدب (العربي)، من منطلق أن كل حركة أدبية أو فنية هي حركة متجددة بطبيعتها. والتي يجب أن تساير التطور الفكري والمعرفي الحاصل في الحضارات المجاورة. فإن التجديد في اللحظة المعاصرة قد أخذ مدلولات ومسميات مختلفة كالعصرنة والحداثة وما بعد الحداثة... وهي مفردات على اختلافها، قد تبلورت في سياق إيديولوجي واحد، فرض أن يكون التجديد من الخارج، بأدوات ومناهج الآخر. ومن ثمة فكل دعوة إلى التجديد من الخارج تصطدم بالأصالة. فتكون نتيجة التصادم ألا يتفاعل التحديث والتجديد مع الأصالة؛ بل يلغي أحدهما الأخر. فتحصل أزمة في الإبداع. ومن هنا، فإننا نرى في دراسة القصة القرآنية قاعدة منهجية ووسيلة إجرائية لبعث التجديد الأدبي من الداخل، فيكون بذلك الجديد من جنس وطبيعة الأصيل. وبتحقيق عملية التجديد استنادا إلى المرجعية الذاتية تتحقق للأدب حصانته المعرفية، ولا يكون عند ذاك المستوى أي حرج أو خوف من التعاطي مع المفاهيم والمناهج الوافدة من عالم الآخر.

**القصة القرآنية مدخلا لعلمية الأدب فضلا عن فنيته:**

إن التناول الأدبي للقصة القرآنية، هو دراسة على مستوى الأسلوب للوقوف على الصورة الجمالية فيها، وبهذا المقترب يكون الأدب أقرب إلى الفن منه إلى العلم. وفي هذا السياق يرى سيد قطب "في الفن والأدب يتهيأ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا، يلتقيان في القصة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود"[4]. ويجب لفت النظر، هنا، إلى أن التركيز على الخصائص الفنية الجمالية في القصة يحقق قدرا من الموضوعية في دراستها. وربما تبدو للوهلة الأولى أن ثمة مفارقة معرفية ومنطقية في هذا السياق، و هي كون الأدب فنا . وليس علما . فهو يكرس الذاتية باعتبارها صفة ملازمة للفنون والعلوم المعيارية كعلم الجمال وعلم الأخلاق. وخلافا لهذا التوجه المنهجي نرى بأنه بإمكان هذه المفارقة أن

[3] . حسن الأمراني، مقال حول (الإسلامية في الشعر المعاصر بالمغرب)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم8، سنة 1984، وجدة بالمغرب العربي، ص: 143

[4] . سيد قطب: "منهج الفن الإسلامي"، دار الشروق، الطبعة الثالثة، سنة 1960، ص: 6.

تتحول إلى مقاربة. بمعنى أن الموضوعية ممكنة التحقيق في الدراسة الأدبية، وبالإمكان أن تقترب من الموضوعية في العلم. وأن الشرط العلمي و المنهجي يمكن تحقيقه من خلال القصة القرآنية خصوصا. وما يعطي رأينا هذا مسوغا معرفيا ومبررا منطقيا، هو أن هناك محاولة جادة ملفتة للانتباه قام بها الدكتور زكي نجيب محمود من خلال تطبيقه للمنهج الوضعي المنطقي على دراسة القصة في الأدب العربي. فالتحليل الوضعي المنطقي للقضية يركز على خصائصها الشكلية وبنيتها الخارجية ورموزها والعلاقات التي تربط بين أجزائها، للوقوف على حقيقة معناها بالقدر الذي يعبر فيه المبنى عن المعنى بدقة ووضوح. فالدراسة المنهجية الوضعية المنطقية بهذه الكيفية أكثر تناسبا وانسجاما مع الدراسة الفنية الجمالية للقصة القرآنية، حيث إننا إذا استعرضنا تجليات الصورة الجمالية، نجدها أشبه بالخصائص والعناصر والعلاقات التي تربط بين القضايا، وهو تشابه من ناحية الشكل المنهجي بطبيعة الحال.

فإذا كانت الصورة الجمالية تتجلى في:

1 . الانقطاع في الأحداث "الفصل بين المشاهد داخل القصة" مما يدفع بالقارئ إلى التشويق [و عنصر التشويق هنا يدخل في الجانب الفني الجمالي].

2 . قيام بعض الشخصيات (الأبطال) داخل القصة القرآنية بأمور خارقة تفوق قدرات العقل البشري...

3 . بدء بعض القصص القرآنية بالإجمال مما يدفع بالقارئ إلى التطلع والتشوق لمعرفة التفاصيل.

4 . الإيحاء والاشتقاق في اللغة، مما يعني قدرة اللغة على نقل الأحداث وتصويرها...

5 . التناغم في الإيقاع الصوتي بين ترابط الألفاظ في سياق إبراز الصورة.

6 . الإيجاز بالحذف في القرآن[ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا].

7 . الإيجاز والذي من دلالاته تحديد المعنى وتقويته.

9 . عنصر الزمن في القصة يربط التناهي بالمطلق.

فهذه التجليات والخصائص التي تنطوي عليها الصورة الجمالية للقصة القرآنية، ترتبط بالظاهرة اللغوية بشكل أساسي، وهو ما يفيد أن الضرورة المنهجية لدراسة القصة القرآنية تقتضي التركيز على الشكل. والشكل في القصة يقابل . منهجيا . الشكل في القضية الفكرية. رغم ما بين النوعين من خصوصيات مفهومية.

**القصة القرآنية كمنطلق لإسلامية الأدب:**

إن فرضية إسلامية الأدب تتأكد، وتفرض نفسها كحقيقة معرفية من خلال الإحالة القصة القرآنية في مضامينها ومبانيها، من منطلق الطابع الديني الغالب على محتواها والذي ينعكس على بنيتها الشكلية الخارجية،. فإذا كان هناك شبه حسم كامل على "عروبة" الأدب من منطلق أن المنتوج الأدبي كان بلغة الضاد، فإن هناك تحفظ . إن لم نقل رفض . لـ "إسلاميته". ولهذا نرى في أنموذج للقصة القرآنية ما يؤسس ويرسخ لإسلاميته. وتجب الإشارة، في هذا السياق، إلى أن هناك فرق بين "عربية" الأدب و"إسلاميته"، وهو فرق بين الجنس والنوع بلغة علماء المنطق: فـ"العربية" تحديد لجنسه (قوميته)، و"الإسلامية" لنوعه.

وبالنوع تتحقق الهوية والماهية، وهي هوية إسلامية على وجه الأصالة وبالطبيعة. ومن هنا، يمكن بيان مفهوم الأدب الإسلامي من منظور القصة القرآنية على: "انه تعبير فني جميل مؤثر، نابع عن ذات مؤمنة، يعبر عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر "[5] . وبالتأصيل الإسلامي للأدب يتحقق بعده الرسالي في الحياة، أي الفائدة العملية في دنيا الناس، لأن كل تفكير نظري مهما كان شكله فهو مشدود إلى مطلب عملي واقعي. و القصة القرآنية أبرز نموذج لهذا للتجلي.

وتجدر الإشارة، في هذا السياق، إلى أن الهوية الإسلامية لأدب فضلا عن عروبته، تمكّن له من التأصيل بالكيفية التي تتيح له التجديد والتطور والانخراط في المنطق العلمي البيني فيما يخص علاقته بالعلوم الإنسانية. وعند هذا الأفق المعرفي البيني يثار السؤال التالي: كيف يمكن للأدب الإسلامي أن يحقق قفزة نوعية معرفيا ومنهجيا بالمستوى الذي حققته العلوم الإنسانية المجاورة له . والتي هي من جنسه . وبالصورة التي يحافظ فيها على أصالته العربية والإسلامية. فإذا كان تطور العلوم بني على قاعدة الموضوعية فما المانع من تحقيقها في الأدب. فهل الخصوصية الفنية للأدب تتعارض مع العلمية؟

إننا نرى في الدراسة الفنية والجمالية للقصة القرآنية دراسة موضوعية، وإن لم تكن بالخصوصية التي تتمتع بها في العلوم الطبيعية. أي أن الدراسة الأدبية للقصة القرآنية من الناحية الجمالية، هي دراسة علمية بمعنى ما. ويؤكد رأينا هذا قول الشاعر المعاصر إزرا ياوند: "الفنون والأدب والشعر علم، تماما مثلما أن الكيمياء علم. إن موضوعها جميعا واحد، هو الإنسان والجنس البشري، والفرد."[6]

وانطلاقا من هذا، نرى أن كلمة "ذاتي" و"موضوعي" في حاجة إلى مراجعة عميقة ومركزة. فإلى متى يبقى الأدب رهين الذاتية ومحاطا بأسوارها بحجة أن العنصر الفني فيه عائق أمام العلمية؟

**الأصل في الإعجاز القرآني أدبيا وليس علميا:**

إن ثمة حقيقة تفرض نفسها على كل باحث في موضوع يتصل بالقرآن الكريم ويلامس حقائقه ويقارب قضاياه في مجال من المجالات؛ هي حقيقة وجه الإعجاز فيه. ومن هنا فإن كل دراسة في القرآن، ومهما كان نوع الحقل المعرفي الذي تتحرك فيه؛ تتطلع إلى معرفة دلائل الإعجاز، والسؤال المعرفي الذي يثار في هذا الأفق يفرضه التحدي الإلهي المفضي إلى الإعجاز. ومن منطلق هذا السؤال المحفز للبحث فإن السائد والمألوف في الأبحاث والدراسات التي تناولت حقائق القرآن واستقصائها هي الدراسات العلمية (الفيزياء، الفلك، الجيولوجيا...)، منطلقة من فرضية أن الأصل في الإعجاز القرآني هو إعجاز علمي. ومع تزايد الاهتمام بالجانب العلمي، في عصرنا، بدأ الجانب الأدبي الفني يغيب تدريجيا، بعدما كان له السبق والأولوية في العصور الإسلامية الأولى لدى المفسرين

[5] - . نجيب الكيلاني: "مدخل إلي الأدب الإسلامي"، كتاب الأمة، قطر، 14 جمادى الآخرة، 1407هـ، ص 36

[6] . إزرا باوند: كتابه "صورة الطّبيعة "، نقلا عن: فؤاد كامل "مدخل إلى فلسفة الد□ين"، الهيئة المصرية العام□ة للكتاب، 1984، ص .66

التقليديين "[7]. وعند هذا الأفق تجب الإشارة إلى حقيقة أساسية، وهي أن الأصل في الإعجاز القرآني أدبيا وليس علميا، ما يؤكد ذلك بالبداهة وعلى وجه البساطة هو أن القرآن **كلام الله،** وظاهرة الكلام تحيل إلى ظاهرة اللغة. ومن ثمة فإن النفاذ إلى الحقائق (العلمية) في القرآن كمستوى ثان في النص (مستوى المضمون)، يستوجب المرور بداية من المستوى الأول: مستوى الشكل، إذ القبض على الحقيقة مرهون بمدى ومستوى الفهم؛ فهم الخطاب الذي يبلغ عنها، والثوب الفني الذي يغطيها أي أن الحقيقة العلمية يجب أن تكون مسبوقة بالحقيقة اللغوية. على هذا المستوى المفصلي والعلاقة الزومية بين الظاهرة العلمية والظاهرة اللغوية، تبرز الحاجة الماسة إلى الدراسة الأدبية للقرآن الكريم، ليس فقط لاقتراب من حقائق الإعجاز العلمي على مستوى المضامين، بل للوقوف على الخصوصية اللغوية (الأسلوبية والفنية/ الجمالية) في العرض؛ عرض الحقائق في المقام الأول، لأن التحدي القرآني تحدي لغوي كما أشار النص القرآن إلى ذلك صراحة: "**و إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**"[8] فهذه الآية تمدنا بحقيقة أن قوة العرب في الجاهلية حتى لحظة نزول القرآن في لسانهم، أي أن العبقرية العربية عبقرية أدبية وهي تتجلى بشكل أساسي وتنكشف في صناعة الشعر وبناء القصيدة. ولهذا كان التحدي القرآني تحديا لغويا، يعكس المقابلة بين ظاهرة فنية وأسلوب بياني سامي متعالي ويجربة فنية وبيانية بشرية متدنية، وهي مقابلة تجعل البشري خاضعا للمقدس وتابع له.

فهذه الآية تكشف حقيقتين: الأولى هي أن الإعجاز يتجلى في "رصف القرآن و بيانه ونظمه ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب، ثم في سائر لغات البشر، ثم بيان الثقلين جميعا، إنسهم وجنهم متظاهرين"[9]. فهذا الضرب من البيان خارج من جنس بيان البشر و متجاوز لقوة و براعة نظم كلامهم.

والحقيقة الثانية: هي بمثابة نتيجة مترتبة عن الحقيقة الأولى كمقدمة لها، تفيد أنه: بما أن الأصل في الإعجاز القرآني لغوي، فإن الاقتراب والمقاربة الأنسب للتعاطي مع النص القرآني هي المقاربة اللغوية الأدبية. ومن منطلق هذا التمفصل المنهجي بين المقاربة

الأسلوبية الأدبية للنص القرآني؛ أردنا دراسة الصورة الأدبية للقرآن الكريم للوقوف على مناحي السر الجمالي والفني فيه بغرض الارتقاء اللغة العربية من مستواها البشري إلى الأفق القرآني المقدس، لشحنها بعناصر القوة والنهوض لتكون مقوما حضاريا ومغذيا للهوية فيزيدها حصانة ومناعة. وبما أن المنافذ والمداخل إلى النص القرآني كثيرة ومتنوعة، قررنا الدخول إلى عالمه من منفذ القصة، لأنها أرضية معرفية مناسبة وخصبة للكشف عن المعالم الأدبية والخصائص

[7] - مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية". دار الفكر. ترجمة عبد الصابور شاهين. 1986. ص: 182

[8] . سورة البقرة الآية: 23

[9] . مالك بن نبي المرجع السابق. ص: 30.

الأسلوبية الفنية والجمالية والفراد والتفرد والتميز البياني.

**قصدية القصة في القرآن الكريم :**

*للنص القرآني بعامة والقصة بخاصة أغراض ومقاصد ، تخدم الغرض العام للقرآن الكريم المتمثل في إثبات الوحي والرسالة المحمدية ، حيث ورود القصص القرآني إنما يثبت تلك النبوة ، إذ فمن أين للرسول الأكرم -صلوات الله وسلامه عليه –بمعرفتها لولا الوحي ؟ الذي عرفه عن قصة نوح وابراهيم وعيسى وموسى ويوسف ، وغيرهم . يقول تعالى :" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا "[10] وفي آية أخرى يقول تعالى :" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" [11] وفي سورة القصص يقول تعالى في نفس السياق :" نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "[12]، ويقول :" ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ"[13]، ويقول :" إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ " [14].

* ومن قصدية القصة القرآنية كذلك ، بيان أنّ الدّين كله من عند الله ، وأن الرسالات واحدة ، والعباد أمة واحدة ، والله الواحد رب للجميع ، وعلى هذا الأساس توالت الآيات لتبين هذا الغرض وإن اختلفت التعابير والاساليب ،يقول تعالى : "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ"[15]،.

*ومن قصدتيها كذلك أن الدين موحّد الأساس ، فالقصص هنا يشير الى عقيدة واحدة اساسية ههي الإيمان بالله الواحد الذي يشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الأديان .وعليه ورد القصص القرني تبعا لذلك السياق لتأكيد هذا الغرض ، يقول تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ"[16]. ويقول :" وإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ "[17].

*ومن مقصدية القصة في القرآن بيان أن الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بخاصة ثم أديان بني إسرائيل بعامة ، فالأول أشد من الثاني . يقول تعالى في سورة الأعلى :" إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ"[18]، وفي سورة آل عمران :" إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ "[19] .*ومن قصدية القصة كذلك تبيان أن طرق ووسائل الدعوة بالنسبة لجميع الأنبياء واحدة موحدة ن وحتى ردود افعال الاقوام من هذه الدعوة كانت واحدة ومتشابهة تماما .يقول تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ "[20]

*ومن قصدية القصة القرآنية نصر الأنبياء وهلاك المكذبين والمشككين وقوى الشّر ،وتثبيت قلب الرسول الأكرم -صلوات ربي وسلامه عليه-

[10] - سورة الإنسا ن الاية 23
[11] - سورة يوسف الآية 03
[12] -سورة القصص الآية 03
[13] - سورة يوسف الآية 102
[14] - سورة ص الآية 70
[15] - سورة الانبياء الآية 07
[16] - سورة هود الآية 25
[17] - الأعراف الآية 65
[18] سورة الأعلى الآية 18
[19] سورة آل عمران 68
[20] - سورة هود الآية 25

، والتأثير في نفوس المتلقين لهذه الدعوة ، "وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ"[21] . ويقول :" فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[22].

*ومن قصديتها تصديق التبشير والتحذير (الوعد والوعيد )اذ يقول تعالى:"نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ"[23].

* ومنها بيان النعمة على الأنبياء والأصفياء والنقمة على الاشقياء .

* التحذير من غواية الشيطان لبني أدم ، وسرمدية العداوة بين بني البشر والشيطان ، وقد أدى القصص هذا الغرض في أكثر من مشهد في القص القرآني ، يقول تعالى :" وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا"[24] ، ويقول :" إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ "[25] .

*هذه بعض مقاصد النص القصصي في القرآن الكريم ، ناهيك عن أغراض أخرى كتبيان عظمته تعالى وقدرته ، وتبيان الخير والشّر ،والحكم الإلهية المتناثرة بين ثنايا القص القرآني قصة سيدنا الخضر مع النبي موسى وغيرها كثير .

ومن خلال ماتقدم فإن هذه المقاصد تدور في فلك واحد هو تثبيت الدين الصحيح وعقيدته السمحة السليمة التي ارتضاها الله لعباده المؤمنين ، وتنقيتها من كل شوائب الخرافات والتدجيل والتحريف وغيرها ، وإرساءً ومواساةً للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم- ،وتأييده في كل حين بالإضافة الى غرس تلك الروح النقية الصافية وشحذها لتحمل مشاق الدعوة الى الله ، ومن ثم تكون مرجعية الخطاب الإسلامي الذي أشرنا إليه سلفا هو هذا القصص بأهدافه وأغراضه، وعليه لابد أن يكون إلا خادما لها محققا مبتغاها ، وإلا فما الفائدة أصلا من اختيار هذا الطريق.؟ [26]

**الخاتمة:**

ما يمكن إفادته كخلاصة من تحليلنا لإشكالية إسلامية الأدب على ضوء القصة القرآنية؛ هو أنه إذا كانت إسهامات ودعوات المفكرين والأدباء إلى قيام أدب إسلامي يؤسس لأخلقة الذوق الفني وترشيده بما يتوافق والفطرة السليمة للكائن البشري التي طالما أفسدها الأدب الغربي . في معظم إنتاجاته الأدبية في أجناسها المختلفة . انطلاقا من ترويجه لقيم لا أخلاقية تخضع لسلطة الرغبة، فإن هذه الدعوات والإسهامات تركزت حول إنتاج القصة والمسرح والقصيدة... وفقا لمقتضيات العقيدة الإسلامية وبما ينسجم مع الذوق الفني والجمالي الإنساني الراقي الذي يخاطب في الإنسان روحه انطلاقا من الإحالة الروحانية للتصور الإسلامي للوجود والحياة والمعرفة والقيم. إن هذه الدعوات انتهت إلى ثنائية في الموفق من فرضية التأسيس لأدب

[21] - سورة هود الآية 120

[22] - سورة العنكبوت الآية 40

[23] - سورة الحجر الآيتان 49و50

[24] - سورة الإسراء الآية 35

[25] سورة فاطر الآية 06

[26] ينظر سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن ، دار الشروق القاهرة ط 16 سنة 2002 .

إسلامي تمثّل في جدل القبول والرفض لهذه الفرضية من منطلق أن هذه الدعوات مجرد محاولات اجتهادية تغذيها وتوجهها نزعات إيديولوجية تدرج إمكانية أسلمة الأدب ضمن شعار الدعوة الإسلامية في عمومها، وهو ما انتهى بالحكم على هذه الدعوة بأنها مجرد استجابة لهاجس وجداني ودافع عقدي، مما يجعل إلحاق الصفة الإسلامية بالأدب أمرا تعسفيا، لا يمت بالهوية الإبداعية للأدب بصلة، وأن الأدب هو الأدب في توجهه الإنساني العام والمشترك المتجاوز للمرجعيات الدينية والثقافية والحضارية المختلفة.

إلا أن إحالة هذه الإشكالية؛ إشكالية أسلمة الأدب إلى أصل ميتافيزيقي ثابت متجذر في عمق وباطن النص القرآني ممثلا في موضوع "القصة القرآنية" يجعل من القول والتسليم بما يسمى "الأدب الإسلامي" حقيقة فكرية ودعوة منطقية معقولة، والحجة في ذلك؛ هي أن المكونات البنيوية للنظرية الأدبية من لغة شاعرية وأساليب بلاغية وصور فنية... متحققة ومتجلية في القصة القرآنية شكلا ومضمونا، وبما التوجه العقدي الإسلامي متأصل ومتجذر في مضمون القصة القرآنية في أهدافه وآفاقه، فإنه لا يمكن وصف الأدب الذي يتعامل معها إلا بكونه أدبا إسلاميا، وبالكيفية التي تجعله يستبطن البعد العربي والبعد الإنساني وينفتح كل الآداب الأخرة في تشكلاتها المكانية الجغرافية وروافدها الثقافية والحضارية والدينية لمختلفة.

هذه الأطروحة؛ أطروحة التأصيل لإسلامية الأدب انطلاقا من القصة القرآنية في مواجهة الدعوات الرافضة والمشككة في هذه الهوية المعرفية من جهة، وتجاوز الطرحات الاجتهادية الإسلامية التي أخفقت في دعوتها لإسلاميته من خلال إسباغ الإبداعات الأدبية من قصة ومسرح وشعر بصبغة عقدية دينية بسبب عدم رجوعها إلى هذا الأصل الميتافيزيقي الديني (القصة القرآنية) لتعزيز اجتهاداتها تلك، هو ما وجه تفكيرنا في هذا المقال إلى الالتفات إلى القصة القرآنية كمعطى فكري وآلية منهجية لإثبات وتأكيد هذه الفرضية، إسلامية الأدب بالغضافة الى الاشارة الى تلك المقصدية التي يراد منها التأصيل للغرض الديني والاسلامي من القصص القرآني .

**قائمة المراجع:**


. القرآن كريم

1 . إزرا باوند: "صورة الطّبيعة "، نقلا عن: فؤاد كامل "مدخل إلى فلسفة الدين"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

2 . حسن الأمراني، مقال حول (الإسلامية في الشعر المعاصر بالمغرب)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم8، سنة 1984، وجدة بالمغرب.

3. سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن ، دار الشروق القاهرة ط 16 سنة 2002 .

4 . سيد قطب: "منهج الفن الإسلامي"، دار الشروق، الطبعة الثالثة، سنة 1960.

5 . عماد الدين خليل: "وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي"، مجلة الأمة، قطر، ربيع الآخر 1403هـ.

6 . مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، دار الفكر، ترجمة عبد الصابور شاهين، 1986.

7 . نجيب الكيلاني: "مدخل إلي الأدب الإسلامي"، كتاب الأمة، قطر، 14 جمادى الآخرة، 1407هـ.